المعاني المستنبطة من البسملة

1 - البسملة هي عبارة عن سمة وعلامة تصونه من كيد الأعداء. وكثيراً ما يتفق لبعض عبيد الملك أنهم إذا اشتروا شيئاً من الخيل والبغال والحمير، وضعوا عليها سمة الملك، لئلا يطمع فيها الأعداء، وكذلك فإن لطاعتك عدواً وهو الشيطان؛ فإذا شرعت في عمل فاجعل عليه سمة الله وقل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى لا يطمع العدو فيها، لذلك فمن أخذ ثوباً أو وضعه فليقل ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فإن اسم الله تعالى طابع، لأن الجن يستعملون متاع الإنس وثيابهم.

2 - الله إشارة إلى القهر والقدرة والعلو، ثم ذكر عقيبه الرحمن الرحيم وذلك يدل على أن رحمته سبقت غضبه كما في الحديث القدسي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**». ولولا ذلك لما رحم الكافر في الحياة الدنيا ولما أعطاه من نعمه وكرمه، ولكن الرحمن محيط بجميع

الأكوان وجميع العوالم من إنس، وجن، وحيوان، وطيور.

قال رسول الله ﷺ: «**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**»[1].

قال القرطبي: هذا نص في أن الرحمة يراد بها الإرادة لا نفس الإرادة، وأنها راجعة إلى المنافع والنعم.

وقال الكرماني: الرحمة هنا عبارة عن القدرة المتعلقة بإيصال الخير، والقدرة نفسها غير متناهية، والتعلق غير متناه، لكن حصره في مائة على التمثيل تسهيلاً للفهم وتقليلاً لما عند الخلق وتكثيراً لما عند الله.

3 - يقول الفخر الرازي: مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه، فشكا إلى الله تعالى، فدله على عشب في المفازة، فأكل منه فعوفي بإذن الله تعالى؛ ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فأكل ذلك العشب فازداد مرضه، فقال: يا رب أكلته أولاً فانتفعت به، وأكلته ثانياً فازداد

---

(1) رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد عن سلمان رضي الله عنه.

مرضي، فقال: لأنك في المرة الأولى ذهبت مني إلى الكلأ فحصل فيه الشفاء، وفي المرة الثانية ذهبت منك إلى الكلأ فازداد مرضك، أما علمت أن الدنيا كلها سم قاتل وترياقها اسمي؟.

4 - كتب أحد العارفين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وأوصى أن تجعل في كفنه. فقيل له: أي فائدة لك فيه؟ فقال: أقول يوم القيامة: إلهي بعثت كتاباً وجعلت عنوانه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فعاملني بعنوان كتابك. علماً أنه لا يجوز كتابة أي آية قرآنية على الكفن.

5 - نستنتج من تفسير البسملة أن القراءة والكتابة وجميع العلوم الغاية من تعلمها الوصول إلى الله سبحانه وتعالى بدليل قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[1]. أي اقرأ وتعلم كل ما ينفعك ويوصلك إلى الله تعالى مستعيناً به. ولا يمكن للعَالِم الوصول بعلمه إلى الله سبحانه وتعالى ما لم يعتقد بكلمة التوحيد، حتى ولو توصل بعلمه إلى القمر والكواكب وبلغ الذروة من العلوم.

(1) سورة العلق، الآية: 1.

فنستطيع إذن أن نقول: إن كلمة[لا إله إلا الله] هي ذروة العلوم، ومنها تتفرع جميع العلوم الأخرى، وكل علم لا يوصلنا إلى الله سبحانه وتعالى ولا يكون أساسه كلمة التوحيد فهو إلى الخسران أقرب.

انظر إلى آخر ما توصل إليه العالم الغربي اليوم من اختراعات هذا السلاح الذري والكيماوي المدمر، كانت غايتهم منه الاستيلاء على الشعوب المستضعفة وإخضاع العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه لجبروت الطاغوت وإخراجه من عبادة الله إلى عبادة العباد، ومن عدل الإسلام إلى جور الأديان، ومن سعة الدنيا إلى ضيقها. ولو كان هذا الاختراع بني على أساس كلمة التوحيد لاستعمل في نفع البشرية.

وما فتنة الرائي الذي دخل كل بيت إلا عبارة عن وسيلة من وسائل تحطيم الأخلاق والقضاء عليها في مهدها، ولو كان هذا العلم مبنياً على أساس كلمة التوحيد ومرضاة الله لاستعمل أيضاً في خير البشرية.

فالحضارة الغربية التي نشاهدها اليوم ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب، تخدعك في الظاهر بحسنها وجمالها، وفي الباطن سم زعاف. فهذه الحضارة جرّت العالم إلى الويلات، لأنها ليست مبنية

على كلمة التوحيد، ومثل هؤلاء الذين اختاروا الحضارة الغربية المنتنة التي فيها شقاء الإنسان في الدنيا ودماره في الآخرة،على الحضارة الإسلامية، التي فيها سعادة البشرية ورفاهيتها في الدنيا والآخرة، كمثل الطفل الذي لو خيرته بين أن يأخذ الجوهرة أو قطعة الحلوى الحمراء، لاختار قطعة الحلوى على الجوهرة التي تساوي الملايين، لأن قيمة الجوهرة لا يعرفها إلا بائع الجواهر.

6 - يقول الفخر الرازي: الباء من [بسم] مشتق من البر، فهو البار على المؤمنين بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة، وأجل بره وكرامته أن يكرمهم يوم القيامة برؤيته.

مرض لبعضهم جار يهودي قال: فدخلت عليه للعيادة وقلت له: أسلم، فقال: على ماذا؟ قلت: من خوف النار، قال: لا أبالي بها، فقلت: للفوز بالجنة، فقال: لا أريدها، قلت: فماذا تريد؟ قال: على أن يريني وجهه الكريم. قلت: أسلم على أن تجد هذا المطلوب. فقال لي: اكتب بهذا خطاً، فكتب له بذلك خطاً، فأسلم. ومات من ساعته، فصلينا عليه ودفناه. فرأيته في النوم كأنه يتبختر فقلت له: يا شمعون، ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، وقال لي: أسلمت شوقاً إليَّ.

وأما [السين] فهو مشتق من اسمه السميع، يسمع دعاء الخلق من العرش إلى ما تحت الثرى.

وأما [الميم] فمعناه أن من العرش إلى ما تحت الثرى ملكه.

قال السدي: أصاب الناس قحط على عهد سليمان بن داود عليه السلام، فأتوه فقالوا له: يا نبي الله، لو خرجت بالناس إلى الاستسقاء، فخرجوا وإذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول: [**اللهم أنا خلق من خلقك، ولا غنى لي عن فضلك**] قال: فصب الله تعالى عليهم المطر، فقال لهم سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد استجيب لكم بدعاء غيركم.